

تاريخ الإرسال (2017-05-08). تاريخ قبول النشر (2017-07-12)

د. عاطف وهود كنعان*1

د. صالح وهود أبو صيني¹

¹ قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الاداب والعلوم - جامعة البترا
- الأردن

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: Afkanaan@Yahoo.Com

البنية الثقافية والتمثيل الدلالي في شعر عمر بهاء الدين الأميري

الملخص:

سعى هذا البحث إلى قراءة مكونات البنية الثقافية ومستويات التمثيل الدلالي في النص الشعري العربي، ودرس طاقات النص الشعري العربي في أثناء معالجة إشكالية العلاقة بين الإنسان والكون والحياة انطلاقاً من دراسة البنية الثقافية والطاقات الدلالية في شعر عمر بهاء الدين الأميري، وحدد البحث إشكاليته في الإجابة عن سؤالين أساسيين هما:

إلى أي مدى يستطيع شعر الأميري أن:

- يُعمق وعينا بمكونات البنية الثقافية التي كان مجتمع الأميري يعيش في سعتها؟
 - ما الطاقات الشعرية التي توسل بها الشاعر لتمثيل الدلالات التي تجلي جوانب هذه البنية الثقافية؟
- وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، جاءت على النحو الآتي:
- المقدمة: تضمنت الملخص ومنهج البحث والدراسات السابقة.
 - المبحث الأول: درس فيه الانسجام والتماسك بين ثقافة الأميري وشعره.
 - المبحث الثاني: تناول الامتداد الثقافي في شعر الأميري.
 - المبحث الثالث: تمّت فيه قراءة الطاقات المعرفية والفنية والجمالية في شعر الأميري.

كلمات مفتاحية: نحو النص، البنية الثقافية، موسيقى الشعر، التمثيل الدلالي، عمر بهاء الدين.

Cultural Structure And Semantic Representation In The Poetry of Baha' Al-Deen Al-Ameeri

Abstract

The current research attempts at providing a reading of the constituents of the cultural structure and the levels of semantic representation in addition to study of the potential of the Arabic poetic text through addressing the relationship between man, the universe and life, starting from surveying the cultural structure and the semantic potential in the poetry of Omar Baha' Al-Deen Al-Ameeri. The research has delineated the problem by answering the following two essential questions:

- To what extent can Al-Ameeri's poetry deepen our awareness of the constituents of the cultural structure in which Al-Ameeri's community lived?
- What are the poetic potentials which the poet used to represent to the demotions that explicate the aspects of this cultural structure?

Keywords : Cultural Structure -Semantic Representation - Baha' Al-Deen Al-Ameeri

المقدمة:

يدرس هذا البحث المرتكزات الثقافية في النص الشعري العربي في إطار الطاقات الدلالية في شعر الأميري. ويعتمد البحث منهج الدراسات اللسانية النصية التي جاءت تنويجاً للدراسات التركيبية الدلالية في نهاية القرن العشرين، فقد نقلت لسانيات النص الوصف إلى توصيف أكثر دقة وأكثر شمولاً للعلاقات التركيبية الدلالية في كل أبعاد النص وفي لغته. وجاء اعتمادنا لهذا المنهج انسجاماً مع المنهج العلمي الدلالي الذي انتهجه علماء العربية وبخاصة في كتابي عبد القاهر الجرجاني: (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، وما نجم عن ذلك من دراسات.

ويُحدّد البحث موضوعه في قراءة الحقول الدلالية الكبرى التي صبّ فيها شعر الأميري، إضافةً إلى قراءة الدلالات التي أنتجها الأميري. وحدّد البحث مادته الشعرية في أربعة دواوين من شعر الأميري، هي: "صفحات ونفحات"⁽¹⁾، و"الزحف المقدس"⁽²⁾، و"قلب ورب"⁽³⁾، و"رياحين الجنة"⁽⁴⁾. وقد اختار البحث من هذه الدواوين القصائد والمقطوعات والأبيات التي رأى أنّها تشمل الأبعاد الدلالية المحددة في أهداف هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

لم نجد، فيما نعلم، دراسة تناولت البنية الثقافية، والطاقات الدلالية في شعر الأميري تناولاً لسانياً يدرس البنية الثقافية والتمثيل الدلالي باستتطاق الأبعاد المعرفية والفنية والجمالية وفق منهج لسانيّ نصيّ مُحدّد، ولكننا رأينا من واجِبنا أن نستقصي الدراسات التي لها علاقة بموضوعنا ومنهجنا الذي اعتمدها في البحث، وجعلنا ذلك في قسمين، فعرضنا في القسم الأول الدراسات اللسانية التي تأسس عليها التمثيل الدلالي في لسانيات النص، وخصّصنا القسم الثاني للدراسات الحديثة التي تناولت شعر الأميري. أولاً: في بداية القرن العشرين فسّر (دي سوسور)⁽⁵⁾ الدلالة حسب مفهوم (القيمة)، ففي الدلالة المعجمية تكتسب الوحدة اللغوية قيمتها من العلاقة الارتباطية بين الدال (الصورة الصوتية)، والمدلول (المتصور الذهني)، وفي الدلالة السياقية تكتسب الوحدة قيمتها من علاقاتها بالوحدات التي تسبقها والوحدات التي تأتي بعدها في السلسلة الكلامية.

وأضاف (أندرية مارتنيه)⁽⁶⁾ مفهوم (الوظيفة) حينما شرح (الوظائف التمييزية) التي تؤديها الوحدات الصوتية الصغرى في بناء الوحدات الدالة الصغرى والوظائف الدلالية التي تؤديها الوحدات الدالة في بناء الجملة. كما أضاف (فيرث)⁽⁷⁾ دلالة المقام (الدلالة الاجتماعية) إلى دلالة المقام (الدلالة الوظيفية في الجملة). أمّا اللسانيون التوليديون فقد اهتموا بالبنية العميقة التي تولّد دلالة الجملة، ثم اتسع مجال الدراسة الدلالية حينما وسّعت لسانيات النص مفهوم السياق حتى صار يتطابق مع مفهوم النص. وصار التركيز يتوجه إلى الأداء اللغوي الذي يُمارس في بناء النص؛ لاستنتاج الأبعاد المعرفية والنفسية من النص، ولمعرفة مدى تماسك هذه الأبعاد وانسجامها مع الأبعاد الفنية والجمالية التي تُقوَّب في بناء النص وهندسته. وقد أجرت بعض الدراسات الحديثة

(1) الأميري، ديوان صفحات ونفحات، ط1، (1404هـ، 1984م).

(2) الأميري، ديوان الزحف المقدس، ط1، (1409هـ، 1989م).

(3) الأميري، ديوان قلب ورب، ط1، (1410هـ، 1990م).

(4) الأميري، ديوان رياحين الجنة، ط1، (1412هـ، 1992م).

(5) دي سوسور، دروس في الألسنية العامة، (ص109-111).

(6) مارتني، مبادئ اللسانيات العامة، (ص17-19).

(7) الخطابي، لسانيات النص، انظر (ص52-72)، وينظر كذلك: بشر، دراسات في علم اللغة (ص57-58).

- موازنة مفصلة ودقيقة بين الاقتراحات الغربية الحديثة والمساهمة العربية التراثية في لسانيات النص، وبخاصة في قضايا انسجام النص وتماسكه، وتثبت هذه الدراسات أن النظرية اللسانية العربية يمكن اعتمادها أساساً في التنظير اللساني الحديث.⁽⁸⁾
- ثانياً: الدراسات الحديثة وبخاصة تلك التي يُمكن أن تتقاطع مع دراستنا، وكانت هذه الدراسات على النحو الآتي:
- 1- دراسة خالد بن سعود الحليبي الموسومة بـ (عُمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانية المؤمنة) ⁽⁹⁾، ودراسة الموسومة بـ (البناء الفني في شعر عُمر بهاء الدين الأميري) ⁽¹⁰⁾. فقد جعل الباحثُ دراسته للأميري في كتابين، درَس في الكتاب الأول حياة الأميري الشخصية والاجتماعية، والسياسية، والثقافية. وهو يوحي بأنه استخَدَم أساليب دراسات (علم النفس الحديث) للإضاءة على هذه الأبعاد، ويُمكن أن تُدرَج هذه الدراسة تحت عنوان: (السيرة الذاتية لحياة الأميري). وقد زار الباحثُ الدُول التي أقام فيها الأميري (مصر، والأردن، والمغرب، والكويت...) فجمَع شعرَ الأميري، وجَعَله دراسة بعنوان (البناء الفني في شعر عُمر بهاء الدين الأميري)، ويُمكن أن تُدرَج هذه الدراسة تحت عنوان (السيرة الفنية) لشعر الأميري. وتتسم هاتان الدرستان بالتفصيل الدقيق في الحياة الشخصية والاجتماعية، والسياسية، ويغلبُ فيهما منهج البحث (التاريخي التطوري).
- 2- دراسة وائل مصباح العريني، الموسومة بـ (القيم الروحية في شعر عُمر بهاء الدين الأميري)⁽¹¹⁾، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية بغزة 2007، ركزت هذه الدراسة على مفهوم القيم الروحية، وعلى تطوّر الشعر الروحي، وتناولت قيم الصلة بالله، والجَمال، والحرية، والسعادة، والخُب ... في شعر الأميري، وفي الجانب الفني اتخذت من شعر الأميري شواهد على تلك القيم.
- 3- دراسة صفية الهليلي، الموسومة بـ (الرؤية الإسلامية للإنسان في شعر عُمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانية المؤمنة دراسة دلالية وفنية)⁽¹²⁾، المعهد المغربي للإعلام العلمي والتقني، 2004.، درَسَت الباحِثَةُ مفهومَ الرؤية دراسةً مُستقيضةً، وتناولت الجُذور الأدبية للرؤية الإسلامية، واستشهدت على ذلك بشعر الأميري. وتتبعَت الموضوعات الدلالية التي صَدَبَ فيها الشاعر إنتاجه الشعري. وفي الجانب الفني يتضح أثرُ كتاب الدكتور تمام حسان (اللغة العربية معناها ومبناها) على هذه الدراسة، وتوحي الباحِثَةُ بأنها تُصنّفُ دراستها في إطار (الأدب الإسلامي).
- 4- دراسة زهيرة بنيني الموسومة بـ (التصوّف في ديوان مع الله للشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري)⁽¹³⁾ جامعة باتنة، الجزائر. حدّدت هذه الدراسة موضوعها في (التصوّف)، وحدّدت مُدَوّنة بحثها في ديوان الأميري (مع الله)، وبيّنت الباحِثَةُ أنها معنيّة بالبحث في أفاصي قصائد الأميري عن تقاطع شعره مع أفكار المُتصوّفة وأخلاقهم، وتتخذُ الباحِثَةُ من شعر الأميري شواهد لقرآنة التصوّف في الإسلام.
- 5- دراسة (كتاب) محمد علي الهاشمي، الموسومة بـ (عمر بهاء الدين الأميري: شاعر الأبوّة الحانية، والبنوّة البارّة، والفنّ الأصيل)⁽¹⁴⁾. ركز الهاشمي في هذه الدراسة على موضوعي الأبوّة الحانية، والبنوّة البارّة في شعر الأميري، وفي الجانب الفني يقدّم الباحثُ دراسته على أنها (ومضاتٌ إسلامية في المُثل العُلّيا، والفنّ الأصيل).

⁽⁸⁾ الخطابي، لسانيات النص، المرجع السابق، انظر: (ص: 52-72).

⁽⁹⁾ الحليبي، عُمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانية المؤمنة، ط1، (2004).

⁽¹⁰⁾ الحليبي، البناء الفني في شعر عُمر بهاء الدين الأميري، ط1، (2006).

⁽¹¹⁾ العريني، القيم الروحية في شعر عُمر بهاء الدين الأميري، (2007).

⁽¹²⁾ الهليلي، الرؤية الإسلامية للإنسان في شعر عُمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانية المؤمنة دراسة دلالية وفنية، (2004).

⁽¹³⁾ بنيني، التصوّف في ديوان: مع الله للشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري، جامعة باتنة، الجزائر، (د.ت).

⁽¹⁴⁾ الهاشمي، عمر بهاء الدين الأميري: شاعر الأبوّة الحانية، والبنوّة البارّة، والفنّ الأصيل، (1986).

وهذه الدراسات على أهميتها، وقيمتها الكبيرة، كان تركيزها على البُعدين التاريخي والاجتماعي أكثر من تركيزها على استنتاج النصوص، واستقصاء الكفايات المعرفية، والفنية، والجمالية، التي مكنت الشاعر من تمثيل الأبعاد الدلالية لهذه الكفايات في النص الشعري العربي، إضافة إلى كفايات الشاعر في سبك معرفته عن بنيته الثقافية في قولب نصوصه الفنية والجمالية. وسينتج هذا البحث بكل الأبعاد التي تتقاطع معه في هذه الدراسات.

كلمات مفتاحية:

نحو النص، البنية الثقافية، موسيقى الشعر، التمثيل الدلالي، عمر بهاء الدين.

المبحث الأول: الانسجام والتماusk بين ثقافة الأميري وشعره:

اتسع شعر الأميري لثلاثة حقول دلالية يمكن إدراجها تحت ثلاثة عناوين أساسية هي: الإنسان، والأسرة، والأمة؛ ففي حقل الإنسان تناول كرامة الإنسان، وحرّيته، وإنسانيته، كما تناول رسالة الإنسان، وسلوكه في حياته، وسعادته فوق الأرض. وفي حقل الأمة أضاء على فكر الأمة ورسالتها، وركز على واقع الأمة بالقياس إلى واقع الأمم الأخرى، وركز إضاءة خاصة على حاجة الأمم الأخرى إليها. أما في حقل الأسرة فقد خصص مساحة واسعة للطُولة، والتربية، والأبوة، وأفاض في توصيف صلة التراحم بين أفراد الأسرة. وسيدرس البحث هذا المعمار الثقافي في شعر الأميري على النحو الآتي:

أ- الإنسان: المخلوق المتميز

يقرأ البحث في هذا المقام خمس مقطوعات قصيرة من شعر الأميري ليكشف عن مفهوم (الإنسان) في ثقافة مجتمع الشاعر:

أَنَا كُنْتُ مُمَيَّرٌ	لِلجَدِّ وَالنَّدى خُلِقَ
أَنَا فَذٌّ فَطِينَتِي	بِسَنَا الرُّوحِ تَأْتَلِقُ
إِنَّهُ رُوحٌ خَالِقِي	وَأَنَا مِنْهُ مُنْطَلِقُ ⁽¹⁵⁾

تكرّر الضمير (أنا) في هذه المقطوعة ثلاث مرّات، وهو يعني (أنا الإنسان). ويؤكد الشاعر هنا أنّ تميّز الإنسان عن باقي المخلوقات ينطلق من تميّز روحه التي تُبَيِّرُ أرجاءها (نُفْحَةً) من روح الله، وهذه إشارة إلى قوله تعالى مُخَاطَباً الملائكة عن آدم عليه السلام: ﴿إِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾⁽¹⁶⁾ وهذا يعني أنّ النّفس البشريّة خُلِقَتْ مُرَوِّدَةً بنورِ إلهي يُمكنُ الإنسان من وضوح الرّؤيا في أثناء مسيرته في حياته.

وما عليّ وقد صوّرت من حمأ	إذا ألمت بنفسي فورة الرّهج
حيناً وحيناً وحسبي الرّوح قد نفخت	في هيكلي وحبّتي مهجة المهج
فضمّ قلبي برأيا لله قاطبة	ومدّ عقلي السّما والأرض بالحجج ⁽¹⁷⁾

تتماusk هذه الفقرة الشعريّة، مُنْسَجِمَةً مع الفقرة السابقة بربط قوله في الأولى (إنّهُ رُوحٌ خَالِقِي) بقوله هنا: (حسبي الروح قد نفخت في هيكلي) وهذا يعني أنّ شعر الأميري ينبثق من فهم ديني حضاري عميق بكرامة الإنسان، وتميّزه، وسمو رسالته، فالإنسان أيّ إنسان جوهرٌ فدّ وروح سماوية كريمة. إن "عالم الإنسان الرّوحيّ تشكيلاً مُعَقَّدٌ، يمتزج فيه العقل والشعور، والوعي، وإدراك الذات،

⁽¹⁵⁾ الأميري ديوان قلب ورب، المصدر السابق (صص 263-264).

⁽¹⁶⁾ سورة الحجر: الآية (29).

⁽¹⁷⁾ الأميري، ديوان قلب ورب، المصدر السابق (صص 48).

ومختلف مجالات الحياة الروحية في كل واحد، إنه نظامٌ محدد من المعارف والدوافع، والحوافز والتوجهات التقييمية، والمبادئ الاجتماعية، التي تُنظم القواعد والمشاعر الاجتماعية والأمزجة، والبواعث الإرادية للإنسان" (18) لذلك نجده يعتز دائماً بهذه النفخة من روح الخالق الكريم التي منحت هيكل جسمه وحماً طيبته تميزاً بين سائر المخلوقات، ومنحت عقله وقلبه استعدادات تنتفع بنواميس الأرض والسماء .

يُغَالِبُ فِي الدَّهْرِ إِعْصَارَهُ وَكَمْ ذَا يُعَانِي وَلَا لَا يَتُوبُ
طَبِيعَهُ رُوحِ سَمَاوِيَّةٍ نَسِيمٌ لَهُ فِي الْأَعَالِي هُبُوبُ
وَجِسْمٌ إِلَى حَمًا يَنْتَمِي يُلِحُّ عَلَيْهِ عُورًا دُؤُوبُ (19)

تتضح في هذه الفقرة بنية الأساس الثقافي التي انبجس منها شعر الأميري؛ إنها معادلة بسيطة دقيقة يرسمها على النحو الآتي:

- رُوحٌ إنْسَانِيَّةٌ سَمَاوِيَّةٌ.
- عقلٌ وقلبٌ إنْسَانِيَانِ أَرْضِيَانِ.
- إدارةٌ إنْسَانِيَّةٌ حَكِيمَةٌ لِلْحَيَاةِ عَلَى الْأَرْضِ بِإِشْرَافِ السَّمَاءِ.

ولذلك نجد الشاعر يعزو معاناة الإنسان بين النساتم العلوية والقشور الأرضية إلى طبيعة جسم الإنسان الذي ينتمي إلى قشرة الأرض:

بَرًّا الْعَوَالِمَ وَالْخَلَائِقَ خَلْقَةً فِي إِثْرِ خَلْقَةٍ
وَجُعِلَتْ يَا إِنْسَانُ أكرمَ خَلْقِهِ لَا فَوْقَ فَوْقَهُ (20)

فالإنسان وفق ثقافة الأميري هذه هو أكرم مخلوقات الله كافة، وهذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (21) وإلى قوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (22) وقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (23).

ب- الحرّية والالتزام والوظيفة :

يقدم شعر الأميري فلسفة تكاملية بين مصطلحي (العبودية) و(الحرية)، فهو ينظر إلى الأنظمة الدقيقة المدهشة في جسمه وروجه، وما في هذه الأنظمة من آيات العظمة والدقة والإعجاز، ثم ينظر إلى آيات الإعجاز والعظمة في هذا الكون الذي سخره الله لخدمة الإنسان، فيؤمن أنّ خالق الإنسان زوده بهذه القوى لإعمار الكون، وتنظيم سعادة الإنسان فيه بما ينسجم مع الأنظمة والقوانين التي سنّها الله وقدرها في كلّ مخلوقاته، "وعلاقة الشاعر هذه بالأشياء ليست عشوائية، بل هي نابعة من رؤيا شعرية وفلسفية،

(18) بويفا، الإنسان، نشاط وتواصل (ص48).

(19) الأميري، ديوان قلب ورب، المصدر السابق (ص66).

(20) المصدر نفسه (صص117-118).

(21) سورة الإسراء: (الآية 70).

(22) سورة البقرة: (الآية 29).

(23) سورة الجاثية: (الآية 13).

وحضارية مُحدّدة في الحياة والكون والإبداع⁽²⁴⁾ وفي إطار هذا الفهم يتحوّل مفهوم العبوديّة لله إلى عبادة؛ وهي العبادة التي تعني انسجام سلوك الإنسان مع طبيعة خلقه، ومع طبيعة المخلوقات وثوابت أقدارها؛ فعبوديّة الإنسان بهذا المعنى التزّم بالانسجام مع الذات، وهو التزّم السلوك المتحوّل بتحوّل حركة الإنسان وثمّوه، بالقدر الثابت في أنظمة المخلوقات، وأنظمة حركتها الدائمة بثبات، ويتأصل هذا الالتزام ويتجدّر كلما استيقن الإنسان أنّ هذه المخلوقات كلّها مسخرة لخدمته وسعادته. يتجلّى هذا المفهوم في النصّ الأميري في عمليّات الاستقراء والاستقصاء المتعمّقة لقلب الإنسان وعقله. والأميري يرى أنّ الإنسان تحقق له التكريم والسّموّ بالعقل والقلب المتميزين وبهما استخلف في الأرض:

هو العقلُ أسمى ما سموتُ بنوره هو القلبُ أعلى ما يحقّقُ تكريمي
هما عدّتي استخلفتُ كُنْتُ مَخَوَّلًا بجَدواهما لولاهُما اختلّ تقويمي
بِسِرِّهما كَوْنْتُ عَبْدًا مُحَرَّرًا لِرَبِّي وَهَذَا سِرُّ مَجْدِي وَتَعْظِيمِي⁽²⁵⁾

يضيف الشاعر هنا مفهوم (استخلاف) الإنسان على الأرض وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽²⁶⁾ لقد امتلك الإنسان كرامته الإنسانية وفق هذه الثقافة بامتلاكه روحاً سامية تُشرف على قلب وعقل مُتميّزين؛ فاستحقّ بذلك أن يُدير الحياة على الأرض تحت عناية الله.

وفي إطار هذا الفهم يربط شعر الأميري حُرّيّة الإنسان بعبوديّته لله، ويرى في ذلك غاية المجد الذي يُمكن أن يصل إليه الإنسان:

فَزِرْوَةُ الْمَجْدِ لِلْحُرِّ الْأَبِيِّ عَلَى مَدَى الْحَيَاةِ وَرَأْسُ الرُّشْدِ وَالرُّشْدِ
لِوَادِهِ وَمَوْلَاذُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ فِي طَرِّ أحوالهم بالواحدِ الأحدِ⁽²⁷⁾

يُنصُّ شعر الأميري باسم الإنسان قائلاً:

عُبُودِيَّةٌ لِلَّهِ أَعْلَتْ مَرَاتِبِي وَصَيَّرَتِ الْأَكْوَانَ لِلْحُرِّ مَعْبَدًا⁽²⁸⁾

بهذا المعنى العميق يتحرّر الإنسان حينما يفهم علاقته بخالقه ينطلق بسلوكه الواعي الحكيم إلى كلّ أرجاء الكون يبثّ فيها الحبّ والسعادة. فلا "بُدُّ من مُراعاة علاقات السببيّة القائمة بين اللفظ ومدلوله؛ لأنّ الإنسان لا يُمكنه أن يتعامل مع الكلمات بحسب شكلها الظاهريّ فحسب، بل لا بدّ من إدراك السببيّة التي تخلق الصلة بين الرّامز والمرموز له"⁽²⁹⁾، ويتحوّل هذا الإيمان المطلق بهذا المعنى إلى مُسلمة يعزفها النصّ العربيّ باسم الأميريّ لكلّ إنسان:

أَنْتَ حُرٌّ مَذْكَونٌ لِلَّهِ عَبْدًا فَالْتَزِمْ واسْتَعِنْ بِهِ وَتَكَرَّسْ⁽³⁰⁾

(24) ثامر، اللغة الثانية، في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح، (ص26).

(25) الأميري، ديوان قلب وربّ، المصدر السابق (ص249-250).

(26) سورة البقرة: (الآية 30).

(27) الأميري، ديوان قلب وربّ، المصدر السابق (ص206).

(28) الأميري، ديوان قلب وربّ، المصدر السابق (ص184).

(29) عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية (ص122).

(30) الأميري، ديوان قلب وربّ، المصدر السابق (ص191).

لقد سُخِّرَ للإنسان ما في السماوات وما في الأرض فإن التزم وأطاع فهو خليفة الله على الأرض، وإن عصى لم ينله من الحياة إلا الشقاء والنكد.

وَعُلاكَ الأَرْقَى أيا حُرّاً أَنَّ اللهُ سَواكَ مُذْ سَواكَ عَبْدَهُ⁽³¹⁾

يطمئنُّ النَّصُّ الأَميرِيُّ هنا إلى أنَّه قد بنى في نفوسنا مفهومَي (الحُرِّيَّةِ والالتزام)؛ ثُمَّ انبرى ليبيِّنَ فوقهما فهمه لرسالة الإنسان ووظيفته في الحياة:

أنا يا الله من روجاك	روح لــــن يحــــورا
فأنا للحق كالبرهان	لا يتــــرك زورا
وعلى الباطل كالبركان	ويــــلا وتبــــورا
أنا نسر في السماوات	العــــلا أمّ النــــورا
أنا معنــــى في كتاب	الكــــون قد زان العــــورا
أنا جنــــديك فابعدني	لأقتــــاد الــــدهورا
إن دلاب الهدى في الكون	دونــــي لــــن يــــدورا (32)

يرى الأميري أنَّ الإنسان خليفة الله في الأرض، ووظيفته إعمارها بالحق، والحق في نظر الأميري يتمثل في رسالة (السما) التي تشتمل على الرسالات السماوية كلها، فهي رسالة الإنسان التي تعلمه حقيقة (الخلق) و(الكون) و(الحياة)، وهو بهذه الرسالة مجَهِّزٌ للقيام بوظيفته على أكمل وجه، ثمَّ إنَّه يُحَقِّقُ ذاتَه باستمرار كُلاً ما تطوَّرَ في أداء وظيفته، وتطرَّد سعادته بشكلٍ مُستمرٍّ مادام (يعرف الحق)، ويقوم بالواجب.

تنوزع هذه الدلالات السامية في أرجاء شعر الأميري، فهو يصَهِّرُ (أنا المؤمن) في (أنا الشاعر) ويبثُّ روحه ومعرفته في (أنا الإنسان) ليقود الحياة عبر الدهور، وليسطع برهان الحق فجراً بين يديه يبدد به ليل الجهل والهوى، وليدور به دلاب الهدى في أرجاء الأرض، وهو ينشر صُحف السماء، يدكُّ بها أركان الباطل، ويخلق بالإنسان نَسراً يُزيِّنُ السماوات العُلا فيحَقِّقُ مَعْنَى الإنسانية ويجملُ بها شطور كتاب الكون.

ج- الإنسان والحب والمعاناة:

يستتبت الأميري ثقافة الحب في وعي أحبائه بني البشر، وهو بذلك يعيد بناء جسر الثقة الذي بناه رُسل السماء من قبله على المحبَّة، وهكذا يستطيع الإنسان أن يُلامس الجوهر السامي للحياة الذي شكَّل إنسانية الإنسان. هذا إذن هو الحب الذي يجعل كل فرد من أفراد بني البشر يحسُّ في نفسه بالوجود المقدَّس لأخيه الإنسان، فيفهمه فوق ما يُفهم من سطح بنائه الهيكلي، ويضمُّ روحه المقدَّسة في قلب يقبس الشاعر هذا الحب من فيض قدس الله، فهو يفرِّ بايمانه إليه، يُبصره بالآلته التي خصَّ بها الإنسان، فيعيش حياته ويصنعها وهو يحمل الله في قلبه وروحه وعقله، إنَّه يرجو لكل بني البشر أن يُنعموا بهذا الملاذ الآمن، ليحملوا هذا الحب في نفوسهم وهم يصنعون الحياة:

مَعَ اللهُ وَالْفَيْضُ مِنْ قُدْسِهِ يُنِيرُ بَصِيرَتَنَا وَالْبَصَرُ

(31) المصدر نفسه (ص 88).

(32) الأميري، ديوان الزحف المقدَّس، المصدر السابق (ص 37-40).

وَيَدْفَعُ أَعْمَاقَ إِيمَانِنَا فِرَاراً إِلَيْهِ وَنِعْمَ الْمَفْرُ
فَنُبْصِرُهُ جَلَّ مِنْ خَالِقِ بِالْأَيْهِ الْبَارِعَاتِ الْغُرُرُ
وَنَحْيَا بِهِ ثُمَّ نَحْيَا بِهِ وَنَحْيَا وَنَحْيَا وَنَحْيَا الدَّهْرُ⁽³³⁾

نجد النص الشعري الأميري في بناء التكاثر الجوهري بين المتقابلات السطحية؛ فلننظر إليه وهو يأخذ بيد أخيه الإنسان يُصِره على تجاوز جسر الهَمِّ والمعاناة ليصلا معاً إلى رَغَد العيش وسعادة النَّاسِ كُلِّ النَّاسِ، وكأنا بالأميري يُصغي إلى أبي تمام يسترشدُه:

بُصِرْتُ بِالرَّاحَةِ الْكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرِ مِنَ التَّعَبِ⁽³⁴⁾

ولنستمع إلى ألحان التَّعَابِلِ والتَّكَاثُلِ التي تعزفها روح الأميري في أرواحنا:

لَكِنَّ هَمَّ الْكَوْنِ فِي مُهَجَّتِي يَلُوكُ سَرَائِي وَيَجْتَرُّ
وَقَدْرِي الْوَلَاوَاءُ لَا تَنْتَهِي وَقَدْ أَهْيَ وَيَنْتَهِي الصَّبْرُ
وَرَاخَةُ الْخُرِّ مُعَانَاثُهُ يَذَابُ مَهْمَا مَسَّهُ الضُّرُّ
فَمَا الَّذِي تَرْجُوهُ يَا مَوْجُ مِنْ مُكَابِدِ أَنْفَاسِهِ جَمْرُ⁽³⁵⁾

هذا هو الإنسان في ثقافة الأميري، وهو بإنسانيته هذه ينبغي له أن يواجه قدره، إنه يتسلح بالحب ليتصدى لضيق العيش وتكد الحياة، وهو قادر على أن يحمل همَّ الكون في مهجته، وحينئذ يُحقِّق سعادته ومجده وحرَّيته وإنسانيته، فيُنير له الحُبُّ المقدَّس معالم الطريق، ويتغلب على جمِر أنفاسه وهو يصنع الحياة لكل إنسان.

المبحث الثاني: الامتداد الثقافي في شعر الأميري

الأمة التي ينتمي إليها الأميري إذن هي الأمة التي تتبنى كرامة الإنسان فكراً، وتتخذ من هذا الفكر رسالةً ومنهجاً للحياة. والأميري يرى أن المنهج الذي يُحقِّق الكرامة الإنسانية لا يستقيم إلا إذا جعلت كُنُوبُ السَّمَاءِ معياراً ملزماً يسير الإنسان في ضوئه لإعمار الأرض. فهو يرى إذن أن الأرض تستمدُّ قُداستها من السَّمَاءِ، كما يرى أن رسالة (الإسلام) هي خلاصة رسالات السَّمَاءِ، وأنَّ أمة الإسلام تكتسب مقامها وقُداستها من مُستوى تطبيقيها لرسالاتها السماوية. وفي ضوء ما تقدّم نستطيع أن نُفسِّر مُصطلحات الأميري: (أمة الإسلام) - (شباب الإسلام) - (أعداء الإسلام)...

وهكذا يقدّم لنا النصُّ الشعريُّ الأميريُّ إدماجاً معرفياً فنياً جمالياً بين: (الثقافة والأمة والإنسان والرسالة، والسَّمَاءِ، والأرض). ينطلق الأميري بهذا الوعي الإنساني المقدَّس إلى معالجة الواقع المر الذي تعيشه الأمة:

وإنَّ لِي يَا رَبُّ فِي أُمَّتِي لَنَكْبَةٍ تَحْتُنِي بِالْعَذَابِ
أَعْدَاؤُهَا وَأَنْتَ أَدْرَى بِهِمْ قَدْ مَرَّغُوا شَعْبَهَا فِي التُّرَابِ
وَحَطَّطُوا تَمْيِيحَ أَحْيَالِهِمْ وَأَشْغَلُواهَا بِالسُّدَى وَالسَّرَابِ

⁽³³⁾ الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص ص 54-55).

⁽³⁴⁾ ديوان أبي تمام، (ص 37).

⁽³⁵⁾ الأميري ديوان قلب ورب، المصدر السابق (ص ص 82-83).

وَيَسْتَمِرُّ الْكَيْدُ مِنْ مِحْنَةٍ لِمِحْنَةٍ، وَيَتَوَالِي الْخَرَابُ
لَمْ يَكْفِهِمْ مَا فِي فَلَسْطِينَ مِنْ هَوْلٍ وَوَيْلٍ وَنَكَالٍ وَصَابِ
فَقَجَّرُوا لُبْنَانَ فِي فِتْنَةٍ عَادَتْ زُبَاهُ بِلَظَاهَا يَبَابِ
وَلَيْسَ لُبْنَانُ مَدَى بَغْيِهِمْ لَكِنَّهُ جِسْرٌ وَظُقْرٌ وَنَابِ⁽³⁶⁾

يتسمى الأميري هنا بـ (أنا الإنسان) على: (أنا القوم / و: أنا الشخص)، وَ يَتَمَسَّكُ بِـ (أنا: الأرض المقدسة)؛ لذلك نجدُهُ يتأججُ ألماً للنكبات التي تفتك بأرض الأمة، وهو يرى أن معسكرات الأعداء ركزت همَّها في تعطيل دين الله وكتابه المقدس في نفوس أبناء المسلمين، لتتمكن من بسط هيمنتها على بلادهم فطراً تلُو فطراً، وما فلسطين ولبنان إلا جُسورٌ يعبُرُ الأعداء فوقها ليُثبِتوا أظافرهم وأنيابهم في قلب الأمة وبعية أقطارها؛ فالأمر في غاية الخطورة، ولا ملاذَ وفق رأي الأميري إلا بالشباب ليخلصوا الأمة من الرِّيفِ والتَّمويه، لعلَّ الأمة تتعافى من حَطرِ الموت؛ فالشباب هم الأملُ المُرتجى ينتبعون منهجَ الحقِّ بالعلم، ويسلكون بالأمة سبيلَ الحبِّ والسلام ويحققون الغايات العظمية التي جاءت بها رسالات السماء بعزيمةٍ و مضاء:

يَا شَبَابَ الْإِسْلَامِ أَمْتْنَا فِي حَظَرِ الْمَوْتِ أَيْنَ مَنْ يَشْفِيهَا؟⁽³⁷⁾

لقد امتدَّ الخطر وفشا إلى كل أقطار الوطن الإسلامي، من فلسطين... إلى لبنان... إلى اليمن.. إلى الجزائر... إلى مصر... إلى باكستان... إلى أفغانستان... ووصل إلى مسلمي الهند... و...

يَمَاءُ رَزَايَا ضَاحَايَا وَغَيِّ أُغْضِي وَذَا كُلُّ ذَا فِي الْيَمَنِ؟
وَكَمْ فِي الْجَزَائِرِ مِنْ مِحْنَةٍ! وَكَمْ فِي عُمَانَ وَكَمْ فِي عَدَن!
وَفِي مِصْرَ هَوْلٌ سَلَامٌ كِذَابٌ وَخِصْبٌ سَرَابٌ، وَأَهْ وَأَنَّ
فَوَاجِعُ فِي هَرِّ كَالْمَنَايَا وَفِي الْهِنْدِ كَشْمِيرِهَا وَالِدَكُنْ
فَمَاذَا دَهَا وَطَنَ الْمُسْلِمِينَ فَمَا عَادَ يَحْمِلُ مَعْنَى الْوَطَنِ⁽³⁸⁾

يحملُ الشاعر همَّ الأمة في نفسه، ويصورُ الحيرة التي يُعانيها النَّاسُ في هذا الوضع العصيب. والشاعر هنا يحاول أن يشرح الوضع النفسي الذي يعانیه كل من عاش تلك الفترة:

رَحَى مِنْ حُزُونٍ بِرَأْسِي تَدورُ كَأَتِي أَبْدَأُ مُرْتَهَنُ
فِيَا رَبِّ أَيْنَ أَسوقُ الخَطَى؟ وَكَيْفَ أواجهُ سَيْرِ الزَّمَنِ؟⁽³⁹⁾

توقظُ هذه المحنُ في نفس شاعرنا نجدةً تُرتجى من السماء لإصلاح ما فشا من فسادٍ على سطح الأرض. ورُبَّانُ سفينة النجاة عنده هو الشباب الذي يتوسل برسالة السماء التي بين يديه؛ فيعالجُ صنك العيش لإحياء الأرض بآيات السماء:

لَيْسَ إِلَّا الْقِرَانَ بَادِرُ إِلَيْهَا بِعِلاجٍ مِنْ آيِهِ يُحْيِيهَا
وَتَسْلَمُ سَفِينُهَا بِسَدَادٍ وَرَشَادٍ فَذِي وَكُنْ مُجْرِيهَا⁽⁴⁰⁾

⁽³⁶⁾ الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص96).

⁽³⁷⁾ الأميري، ديوان الزحف المقدس المصدر السابق (ص131).

⁽³⁸⁾ الأميري، ديوان الزحف المقدس، المصدر السابق (ص76-77).

⁽³⁹⁾ الأميري، ديوان الزحف المقدس، المصدر السابق (ص 77-78).

1- قديسة المكان وصناعة الحياة:

يتوجه الشاعر إلى الذي يتمنى أن يُدفن في مكة قائلاً: "إن الله يُحب منا أن نَعْمَرَ ظَهْرَ الأَرْضِ بِسَعِينَا ووعينا، لا أن نحْرِصَ على ملء بطنها بِجُثْنَا، وإنَّ القيمة المُثلى لمهابط الوحي في النظر الحق، هي فيما انبثق من نور وهدى، وما توطد من إيمان وإحسان، وما تأسس من حضارة رِيَانِيَةِ أقامتها الأُمَّة انطلاقاً من مهَابِطِ الوحي المباركة... فيجب أن يتوجه وعينا وسعينا، وأن يتركز كل حرصنا على أن نعود ونصنع الحياة... كما أقامها الرُّسُلُ في هذه الديار المباركة، لا أن تكون غايَةُ آمالنا أن نموت ونُدفن فيها"⁽⁴¹⁾. لخص الشاعرُ هذا المعنى الحضاري لمفهوم الحَجِّ في الفكر الإسلامي بقوله:

رُبَّ ذِي شَوْقٍ لِيُنِيَّتِ	اللَّهُ قَدْ أَشْرَعَ فُلْكَه
هَجَرَ الأوطانَ والأهلَ	بِلا رأيٍ وحِكمة
حَسِبَ القُربى مِنَ اللَّهِ	بِأَن يَسْكُنَ بِكَمَّة
كُلُّ هَذَا الكَوْنِ بِيَّتِ	اللَّهُ قَدْ أَبْدَعَ سَبْكَه
والذي في قلبه اللهُ	فَأَتَى عَاشَ مَكَّة ⁽⁴²⁾

فمهابط الوحي وفق ما يرى الأميري إنما هي مُنطَلَقَاتُ للنظر، ومحطَّاتٌ لتقويم المنهج، فالكعبة ليست هي الغاية القصوى لبصر المؤمن، وإنما هي مُرْتَكِزٌ يسمو ببصيرته منه إلى الله؛ لينهل من نبع مناجم إشراقه، ويُغذي روحه بالحق على فطرته:

ليست الكعبة مرمى بصري	أو مدى قلبي في خفقتِه
وهي لي مُنطَلَقٌ للنظر	يتعالى ثم من ذروتِه
نظراً يُنفذُ عبْرَ السُّننِ	ويرى الحقَّ على فطرته ⁽⁴³⁾

فقيمة الكعبة تكمن في أنها تُمَثِّلُ مُنطَلَقَ النور الإلهي على الأرض، وهذا النور هو الذي يلم شمل الأمة في كل أقطارها، ويُوجه حضارتها ويبيِّن مجدها:

الكعبةُ الشَّماءُ في مذهبِي	قيمتُها لَيْسَتْ بأحجارِها
والقُربُ من خالقِها لَيْسَ في	تَشَبُّثِ المَرءِ بِأَسْطَارِها
فُدْسِيَّةُ الكعبةِ في جَمعِها	أَمَّتْنَا مِن كُلِّ أَقْطَارِها
وأنها مَحْزُورٌ أمجادِها	وأنها مَصْذَرٌ أنوارِها
وكعبةُ المُؤمنِ في قلبِهِ	يَطُوفُ أُنَى كانَ في دارِها ⁽⁴⁴⁾

يرسم الشاعر مثلثاً قاعدته فلسطين، ورُكناه مكة والقدس، ورأسه مرتبط بنور الله في السماء، ثم يُنادي:

(40) المصدر نفسه (ص131).

(41) الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص30).

(42) الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص30).

(43) الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص16-18).

(44) المصدر نفسه (ص 18-19).

فَلَسْطِينُ يَا عُروَةَ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْقُدْسِ خَالِدَةً مِنْ مَضَاءِ⁽⁴⁵⁾

فأرض فلسطين: مقام الخليل، وحضن البتول، ومهد المسيح، ومسرى الرسول، يقدها المؤمنون كلهم من المنطلق الذي يقدهون منه مكة المكرمة، وهي منطلقٌ لنظر المسلم مثل مكة يجمع أبناء الأمة من كل أقطارها؛ ليحملوا منها نور السماء رسالة يعالجون به فساد الأرض وتية الإنسان.

3- الإنسان، والمكان، والقضية:

يُقيم النَّصُّ الشَّعْرِيَّ الأَمِيرِيَّ تَمَاسِكَ قَدَاسَةِ بَيْنَ المَسْجِدِ الأَقْصَى المُبَارَكِ والكَعْبَةِ المَشْرِفَةِ؛ لِيُبَيِّنَ أَنَّ الاعْتِدَاءَ عَلَى أَيِّ مِنْهُمَا إِنَّمَا هُوَ اعْتِدَاءٌ عَلَى كِرَامَةِ الإنسانِ وَعَلَى مُقَدَّسَاتِهِ:

أَرْنُو إِلَى اللَّهِ وَالضَّرَاءُ تَحْدِقُ بِي وَظَلَّتِ الكَعْبَةُ العَرَاءُ بِأَكْيَاةَ
وَنَكَبَةُ المَسْجِدِ الأَقْصَى عَلَى حَدَقِي وَغَمَّ كُلُّ أَدَانٍ عُمَّةَ الشَّرْقِ⁽⁴⁶⁾

ومن هنا كانت فلسطين في عمق حقيقتها، أرضاً أكبر من أرضها وقضيةً أكبر من قضيتها؛ إنها أرض الله المقدسة وقضية الإنسانية الكبرى، وهي عند الإنسان المؤمن أكبر من التاريخ والجغرافيا؛ إنها قضية إيمانية حضارية، وتتضح قضية الإنسان في معجزة الإسراء من المسجد الحرام إلى القدس الشريف فهي رحلة قداسة لكل إنسان شريف على وجه الأرض، وإن المعراج إلى السماوات العليا وربطها بالكعبة المشرفة، إنما هو استكمال لمشروع سماوي تتعالت في رحمة السماء بقداسة الأرض الكائنة في قلب الأميري وفي قلب كل إنسان. ولهذا "رأينا أن أفكاره المشحونة بالانفعال العميق كانت وراء رسم الصورة، واقتزان الألفاظ، وتنوع أشكال التركيب، أو ما يُسمى بالتشكيل المكاني للمعنى الشعري"⁽⁴⁷⁾. والنص الأميري هنا يوازن بين قضيتين تؤمن أولاهما بقداسة الأرض وكرامة الإنسان فوق أرضه، أما الأخرى، فتؤمن بالصناعة والاقتصاد والحرب.

ويعرض هنا موضوع الصراع بين الفريقين على أرض فلسطين المقدسة على النحو الآتي:

هُم حَارِبُونَ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ، عَدَدٌ قَلٌّ، وَلَكِنْ مَضَاءٌ ثَابِتٌ النَّسِقِ
عِلْمًا، وَأَدْبَاءً، وَإِعْدَادًا، وَتَعْبِيَةً وَبَادَرُوا غَزَوْنَا بِالْمَكْرِ وَالسَّبِقِ
يَحْدُوهُمْ أَمَلٌ يَمْضِي بِهِ عَمَلٌ وَنَحْنُ وَاسْوَأَتَا، فِي ضُلَّةِ الحَمَقِ
كَثُرٌ وَلَكِنْ عَدِيدٌ لَا اعْتِدَادَ بِهِ جَمْعٌ وَلَكِنْ بَدِيدٌ غَيْرٌ مُتَّبِقِ
حَارَتْ عَقَائِدُنَا، زَاغَتْ قَوَاعِدُنَا أَمَّا الرُّؤوسُ فَرَأَيْ غَيْرٌ مُتَّبِقِ⁽⁴⁸⁾

يقدّم الشاعر في هذا المقام الإشكالية الكبرى التي يعيشها الإنسان المعاصر: (لماذا يتنصر الباطل على الحق؟). يُطَوَّرُ الشاعِرُ هُنَا وَغَيَّ القَارِيَّ إِلَى أَنَّ امْتِلاكَ أدواتِ العَصْرِ مِنْ عِلْمٍ وَوَعْيٍ وَتَقْنِيَّةٍ، إِنَّمَا هُوَ الأَسَاسُ الَّذِي يُمَكِّنُ الحَقَّ مِنْ كَشْفِ زَيْفِ الباطل؛ فَإِذَا اكْتَشَفَ (الإنسان) الَّذِي يَعْتَدِي عَلَى أَخِيهِ زَيْفَ أَهْدَافِهِ وَوَهْمَ سَعْيِهِ، فَإِنَّ خِطَابَ كِرَامَةِ الإنسانِ والقَدَاسَةِ الَّتِي تَكْتَسِبُهَا الأَرْضُ مِنَ السَّمَاءِ سَيُشَكِّلُ جِسْرَ تَفَاهَمٍ يَلْتَقِي فَوْقَهُ الإنسانُ بِأَخِيهِ الإنسانِ، وَتُصْبِحُ حَصِيلُهُ سَعْيِهِمَا نَجَاحاً يُطَوِّرُ مَفَاهِمَ (كِرَامَةِ الإنسانِ)، و(قُدْسِيَّةِ المَكَانِ)، و(الحَبِّ الَّذِي يَصْنَعُ الحَيَاةَ):

(45) المصدر نفسه (ص60).

(46) المصدر نفسه (ص63).

(47) الرباعي، جماليات المعنى الشعري، التشكيل والتأويل (ص95).

(48) الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص65-66)؛ وانظر: الخباص، القدس في الأدب العربي الحديث (ص65-66).

فإذا آمنَتْ فُلوْبٌ وذادَ اللهُ عنها الوَوى ما رانا
واضْطَلَعنا بِالْعِيبِ نَزْداً عِلما واسْتَزَدنا فِي سَعِينا بِجِجانا
ورَكبنا مِنَ التَّواميسِ بَرَقاً للمَقاديرِ لا يَسْتَجيبُ نِदानا⁽⁴⁹⁾

ويُحَدِّثُ الأميري بني البَشَرِ جَميعَهُمْ مِنْ أن يَقعوا في كَمينِ (الطَواغيتِ) الذين يَسْتَحْذِمونَ الإنسانَ لِقَتْلِ أخيه الإنسانِ، فيموثُّ كُلُّ النَّاسِ ويبقى الطَواغيتِ يَتَعَمَّونَ بِخيراتِ الأرضِ على حِسابِ دِماءِ بني البَشَرِ:

الطَواغيتُ حَظَّطتْ وأَعَدَّتْ دَفَعَتْنَا فِي مَناهِةٍ لِبَلاءِ
قَتَلتْنا بَعْضُنا بَبَعْضٍ وفارَتْ هي بِالْعُثمِ دونَما هُيْجاء⁽⁵⁰⁾

المبحث الثالث :

الطاقات المعرفية والفنية والجمالية في شعر الأميري:

استطاع الشاعِرُ أن يَجِدَّ فينا اليومَ وفي الأجيالِ اللاحقةِ مفاهيمَ مُفرداتِ ثقافتهِ: (الإنسان - السماء - الأرض - الحُب - الرسالة - الوظيفة...) وشدَّ قناعاتنا إلى أن كرامة الإنسان تتحقَّق دائماً بينَ رَحمةِ السماءِ وقُدسيَّةِ الأرضِ. أنيِّدُ يَتَمَكَّنُ الإنسانُ مِنْ إدارةِ الحياةِ على الأرضِ وهو مُلتزِمٌ بِإدماجِ عَقائِدِيٍّ بَيْنَ الرِّسالةِ والوظيفةِ والحُبِّ. وتَنجَلِي عبَريَّةَ شاعرنا وهو يُوصِلُ لِعِلْمِ النَّفسِ التَّربُويِّ بالفنِّ والجمالِ، يَظْهَرُ ذلكَ جَلِيًّا في أَثناءِ قِراءَتِنا للمُكاشَفةِ النَّفسِيَّةِ التي يُبيدُها شِعْرُهُ في مراسلاتِهِ مَعَ أبنائِهِ الأَطفالِ وحَفَدَتِهِ، فالظَّاهِرَةُ "الجماليَّةُ بقيتِ موضوعاً مُشترَكاً يتناولُهُ بالبحثِ كلُّ من الفيلسُوفِ وعالمِ النَّفسِ، ومؤرِّخِ الفنِّ والنَّاقِدِ الأدبيِّ" (51) وسيُقرأُ البَحْثُ في هَذا المَقالِ مَقَدِّمةً قصيدةً (نُعمى) التي رَدَّ بها على رسالةِ حَفيدَتِهِ نُعمى التي أودَعَتْ صورتَها في الرِّسالةِ:

قَرَأْتُكَ نُعمايَ فِي نَشِوَةٍ وَعَوَّدْتُ طَلَعَتَكَ السَّاجِرَةَ
وَقَدْ زانَها زادُ إِشراقِها تَجَلَّيكَ فِي الحُلَّةِ السَّاتِرَةِ
فَبورِكَ نَهْجُكَ يا دُرَّتِي وَنَاعَمَ مَكونُها ظاهِرَهُ
فَكَمُ فِي لِباسِ النُّقى والنِّقا جَوازِبَ تَقفِدها السَّافِرَةَ!⁽⁵²⁾

يَتَقَرَّبُ الأميريُّ الشاعِرُ مِنَ الطِّفْلِ بِأسلوبينِ بيانينِ هما (النِّداءُ) و(الدُّعاءُ) يَكسِبُ بِهِما حُبَّ الطِّفْلِ وَيَكسِبُهُ حُبَّ الأبِ الحنونِ الرَّحيمِ. انظُرْ إِلَيْهِ وهو يَغْرِسُ في نَفْسِ حَفيدَتِهِ مَفهوماً جديداً للقراءةِ، وكيفَ يَدْمُجُ القِراءةَ بالنَّشوةِ، ثُمَّ يُحوِّلُ نشوتَهُ بالقِراءةِ إلى قَلْبِ طِفْلَتِهِ وإلى قَلْبِ كُلِّ طِفْلِ يَسْتَمِعُ إِلَيْهِ. وتَأْمَلُ كَيْفَ تَماسَكَ الدُّعاءُ (بورِكَ) مَعَ النِّداءِ (يا دُرَّتِي) مِنْ أَجْلِ تَعزيرِ التَّعلُّمِ الدَّائِيِّ في بِنائِ المَنهَجِ القَويمِ. ويَتَّخِذُ النِّداءُ مَنحَى نَفْسِيًّا جَمالِيًّا مَعَ وَالدِ الشاعِرِ (براء):

أَبِراءُ يا بَرْداً لِرُوحِي لا حَ فِـي لَفحِـاتِ آبِ⁽⁵³⁾

(49) الأميري، ديوان الزحف المقدس، المصدر السابق (ص 22).

(50) الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص 127).

(51) زكريا، فلسفة الفن في الفكر المعاصر (ص 69-70).

(52) الأميري، ديوان رياحين الجنة، المصدر السابق (ص 31).

(53) المصدر نفسه (ص 19).

أَمِنَ السَّمْعَ والبَصَرَ والفؤادَ، وتَأَمَّلَ كَيْفَ اسْتَمْتَمَ الشَّاعِرُ الرَّاءَ التَّكْرارِيَّةَ في النَّداءِ لِيُكْرِرَ معها معاني (الطَّلَبِ، والحاجة، والاستغاثة، والأمل) ولتَعْرِفَ مَعَ أُخْتَيْهَا الرَّاءِيَّيْنِ في (براء) و(روحي) لِحناً يَنْسَجُمُ مَعَ حَرَكَةِ التَّحَوُّلِ التي يتسامى بها(براء)، فَيَتَحَوَّلُ إلى نَسِيمٍ عَليْلِ تَتَعافى بِهِ رُوحُ أَبِيهِ من حَرِّ آبِ. ثُمَّ أُيَقِظُ كُلَّ حَوَائِكِ لَتَتَدَوَّقَ شَفَافِيَةَ الجِناسِ المُتَقَابِلِ بَيْنَ اللامِ الجانِبِيَّةِ التي تَشْتَرِكُ مَعَ الرَّاءِ في مَخْرَجِهَا، وبَيْنَ الحاءِ الحَلَقِيَّةِ التي تُوحي عند العَرَبِيِّ إلى رُوحِ الإنسانِ، وانظُرْ كَيْفَ يَتَكَرَّرُ جِناسُ هَذَا النِّسْقِ الموسِيقِيِّ الدَّلاليِّ في(لاخ)، (لروحي)، (لَفحات)، فيوحي بذلك شاعِرُنَا إلى بني البَشَرِ بأنَّ كُلَّ مولودِ جَدِيدٍ يَنْبَغِي أنْ يَكُونَ مَشْرُوعَ أَمَلٍ يُخَلِّصُ البَشَرِيَّةَ مِنْ آلامِها في أَحْلكِ الظُّروفِ. ثُمَّ انظُرْ بَعْدَ ذَلِكَ إلى المَخزونِ الدَّلاليِّ المُكثَّفِ الذي يَشيرُهُ السِّياقُ النِّقَافِيّ وسِياقُ النِّصِّ في الجُمْلَةِ الفِعلِيَّةِ التي يَبْنِئُها الشَّاعِرُ في قَصيدَةِ نُعْمَى مِنْ أنْفاسِ رُوحِهِ:

تأسست الدلالة في هذا النص على الجملة الفعلية، وقد حشد الشاعر لذلك سبع نويات إسنادية فعلية، هي: (قرأتك - عودتُ طلعتك - وقد زانها... زاد إشراقها.. تجليك - فبورك - وبارك مكنونه ظاهره). وسنحاول فيما يأتي أن نقارب من المخزون الدلالي الذي كنفه الأميري في كل جملة.

* قرأتك نُعماي في نشوة:

- رأيت صورتك التي أرسلتها إلي يا نُعمى.
- صورتك في الحلة الساترة رسالة.
- الرسالة في صورتك تكشف حقيقة منهجك في الحياة.
- سرني أن أفهم هذه الحقيقة من منهجك.
- * وَعَوَدْتُ طَلَعَتِكَ السَّاحِرَةَ:

- طَلَعَتُكَ يا نُعْمَى ساجرة.
- أنا أعودُ طلعتك السَّاحِرَةَ من كل أذى.
- كما عودُ الله رسوله بقراءة المعوذتين.

* وَقَدَ زانها زاد إشراقها:

- تَجَلِّيكِ في الحُلَّةِ السَّائِرَةِ
- الحُلَّةُ السَّائِرَةُ تُشْرِقُ فَوْقَ جِسْمِكَ الجَميلِ.
- تَجَلِّيكِ في الحُلَّةِ زادها إشراقاً على إشراقها.
- * فَبُورِكَ نَهْجِكَ يا دُرْتِي:

- نهجك باختيار الحلة الساترة نهج قويم.
- أسألُ الله أن يبارك نَهْجِكَ.
- أهلُ السماءِ وأهلُ الأرضِ يباركون نَهْجِكَ.
- أنا أبارك نَهْجِكَ.
- يُسْعُدُنِي أَنَّكَ دُرَّةٌ تَنْتَسِبُ إِلَيَّ.

* وَناغمَ مكنونه ظاهره:

- هذا هو لباسُ النُّقْوى والنِّقَافِ يا نُعْمَى.
- أنتِ تَظْهَرِينَ جَميلَةً في هذا اللباسِ.

- أسأل الله أن تتأصل مفاهيم هذه القيم في نفسك.
- وأن يتجد الجمال المكنون في نفسك الطاهرة مع جمال بدنك المكنيف على ظاهر الوجود؛ لتتحول نفسك الطاهرة إلى لحن سرمدّي على لسان المكان والزمان.
لقد أسس الأميري في ديوانه (رياحين الجنة) قاعدة تربوية إنسانية متينة يمكن أن يتطور فوقها أدب أطفال عالمي رحب في فضاءاته، سام في غاياته.

1- التكتيف الدلالي في شعر الأميري:

أ- في المعجم:

تصّبّ الدلالات وتنتشر، وتتمثل في شعر الأميري، من الضمائر الأساسية الثلاثة: "أنا" - "أنت" - "هو" على النحو الآتي:

- أنا (النور): - الإنسان - المؤمن.

- أنت (?): - الإنسان - الحائر.

- هو (الظلام): - الإنسان - الفاسد.

يحمل الشاعر (مفردات خطاب) الإيمان الذي يحمله كل إنسان مؤمن، فيصنع به حياة النور الذي يتجدد في روح من يحمله في رحلة معاناته التي شملت أرجاء السماوات والأرض، باحثاً عن سير ذاته وعن قبس الهداية الذي يوجه مسعاها ليكون دائماً في كنف الله (نور السماوات والأرض). فالمعجم بحسب محمد مفتاح "هو لحمه أي نص كان، ويحتل مكاناً مركزياً في أي خطاب" (54). ولذلك نجد كلمة "نور" تتوزع في شعره تكاد تغطي كل مقطوعة من مقطوعاته؛ لتشكل بها ثقافة نورانية مقدسة، وتصب في حقلها كل المفردات التي تخدم هذا الحقل:

(النور - السنا - الضياء - النظر - الرؤيا - البصر - الشمس - القمر - الإشراق - السماوات - مسارج النور والروح - الأبصار - السمو - الرقي ..).

ونرى الشاعر يحول كل كلمة من هذه الكلمات إلى حقل تتعالق فيه معها عشرات المفردات تتحول إلى جداول تصبب كلها في الحقل الدلالي الكبير (حقل النور). فالشاعر مثلاً يجعل (الكعبة) منطلقاً لنظره: (وهي لي منطلق للنظر) فينطلق مع الكلمة: يتعالى.. مضعباً.. مشربب الغور - يتخطى.. هائماً.. نائياً.. باحثاً.. دائراً.. في مدى القمر والنجوم الزهر. افالشعر في تصور الأميري "دروب من نور بين إنسان وأكوان، بين لب ورب، سواق في سلافة الحب، بين قلب وكل قلب... والكلمات في الشعر ليست حروفها، ولا معاديلها اللغوي، ليست ما تشرحه المعاجم، أو يتخاطب به عامة الناس، إن الكلمات في الشعر لحن من تعارف الأرواح، نوافذ بين الأرض الودود، إنها إخصاب في قوالب اللفظ، حتى يبدع خلقاً جديداً" (55).

ونجد الشاعر في قمة رحلته قد تحول إلى (نور) فهو:

بَصْرٌ قَدْ فاق كُنْهَ البَصْرِ إذ سَما لله في نَظَرَتِه⁽⁵⁶⁾

إنه يحاول اكتشاف نواميس الكون التي سخرها الله لخدمته:

حائماً حول شِعابِ القَدَرِ يتصدى لِسَنا بَسْمَتِه⁽⁵⁷⁾

(54) مفتاح، تحليل الخطاب الشعري - استراتيجية التناس (ص61).

(55) الأميري، ديوان صفحات ونفحات، المصدر السابق (ص14-15).

(56) المصدر نفسه (ص17).

هذا النَّظْرُ الذي يتحول إلى بَصْرٍ يَتَمَثَّلُ في معرفة قَمَّةٍ من قممِ الحَقِّ التي تُنِيرُ نواميس الحياة، ولا يتوقَّف عند حَدٍّ من حُدود المعرفة، بل يَتَجَدُّ من معرفته الجديدة منطلقاً جديداً إلى بَصْرٍ جَدِيدٍ. وهكذا تتجدد الحياة في كَنَفِ النور، ويحملها الأبناء والأحفاد رسالةً يَصْنَعُونَ الحياةَ في صَوْنِها إلى يوم الدين. ويعرض الشاعر بالمقابل ضميرَ الغائب (هو) الذي يحمل في حقيقته خطابَ الظلم والفساد؛ فيقود أتباعه إلى (الظلمات). ويجعل المخاطب (أنت) حائراً بين الخطابين، إلى أن يستجيب؛ فيحمل خطاب (أنا المؤمن) وحينئذٍ يتوجه مع صنّاع الحياة ينير سُبُلَ الكونِ في أكنافِ رَبِّ الحَيَاة. وعلى هذا المنهج تحتلُّ المفردات مواقعها، وَفَقَّ تَوَزيعها مِنْ معجمِ الشاعر لتملأ كل الحقول الدلالية فتتماسك مُنْسَجِمةً في النَّصِّ الأميري وَفَقَّ نسق فريد.

ب- في المُعْجَمِ وَ السِّيَاقِ:

1- في قصيدة "مع الله":

بُنِيَ النَّصُّ في قصيدة "مع الله" (58) على المُرْكَبِ الظرفي الموسع، وحذف قبله المبتدأ فصارت دلالاته مفتوحة تحتل أيّ ضمير: (أنا - أنت - هو..). تَكَرَّرَ المُرْكَبُ الإِضَافِي في هذه القصيدة أكثر من سبعين مرّة، ظهر في كل مرّة مع مفردات مختلفة، وقد استقصى البحث عشرة أنماط منها لتكون مثلاً على هندسة النَّصِّ في شعر الأميري، وسُتُخِذَ الحاصرات للإشارة إلى رأس كل مُرْكَبٍ، وهو الكلمة الأولى التي تُهَيِّمُ على باقي الكلمات على يسارها، وأما الكلمات التي تقع على يسار الرأس، فَسُتُسَمِّيها (تكملة):

1-.... مع [الله] في [سبجات الفكر] .

2-.... مع [الله] في [الخلجات الأخر] .

3-.... مع [الله] [أن] اجتلاء السنن] .

4-.... مع [الله] [و] النفس [تشكو الضجر] .

5-.... مع [الله] في [حَلَّ [عِبء الضنا]] .

6-.... مع [الله] في [لألآت النجوم] و [حبك الغيوم] و [ضوء القمر] .

7-.... مع [الله] في [الفلك المستطير] [و] في [الشمس] تجري [إلى مستقر] .

8-.... مع [الله] في [نسيمات الرياح] [اللواقح] [تخطر] بين الشجر] .

9-.... مع [الله] في [زفرات الفَراش] [تلامع] [في الشمس] [مثل الدرر] .

10-... مع [الله] ينفخ [من] روحه [على حمأ] [ف] [يكون البشر] .

قامت هندسة النَّصِّ في هذه القصيدة على تكرار المُرْكَبِ الإِضَافِي الظرفي (مع الله) الذي أخذ يكتسب في كُلِّ مرّة يتكرّر فيها دلالة جديدة يستمدّها من تكملة على اختلاف الوظائف التي تقوم بها التكميلات: (الإضافة- النعت- الحال...) إضافةً إلى المعاني السياقية التي اكتسبتها المفردات المُعْجَمِيَّة من علاقاتها التركيبية في السياق. فالقارئ يستطيع أن يدرك " السياقات اللفظية المُركَّبة من العناصر الصغرى الصوتية، أو الصرفية التي تتطابق مع ما اشتملت عليه الأنظمة من الوحدات الصوتية أو الصرفية على الترتيب" (59) ويستقضي النَّصُّ في شعر الأميري أكبر قدر ممكن من مفردات الكون والحياة ليبيّن أنّ وجودها جميعاً مُلَازِم

(57) المصدر نفسه (ص17).

(58) المصدر نفسه (ص48-50).

(59) دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء (ص136).

لوجود الله، وأنها في مَعِيَّتِهِ، تَنَتَامِي الدلالة في أبيات القصيدة على النحو الآتي: (... الفِكر - سَبَحَاتِ الفِكر - في سَبَحَاتِ الفِكر - مع الله في سَبَحَاتِ الفِكر).

كانت نواة الموضوع كلمة (الفِكر) ثم اتسعت الدلالة في المُرْكَب الإضافي (سَبَحَاتِ الفِكر) واتسعت أكثر في المُرْكَب الحرفي (في سَبَحَاتِ الفِكر)، ووصلت سَعَةً المركب غايتها حينما تَصَدَّر المُرْكَبُ الإضافي (مع الله) فأصبح المُرْكَب بعد الإدماج: (مع الله في سَبَحَاتِ الفِكر) ثم جُعِلَ هذا المركب الموسَّعُ خبراً لمبتدأ محذوف، وحُذِفَ المبتدأ في كل أنماط الجملة (60)، فأصبح تكرار الخبر ضرورياً؛ لأن وجوده مُلَازِم لوجود معاني المفردات في مُرْكَبَاتِها، إضافةً إلى أن ذكر هذا المُرْكَب أصبح حاجةً دلاليةً لازمة؛ لأنه يشير إلى أن وجود الله مُلَازِم لوجود كلِّ المخلوقات في الكون؛ ولذلك صار وجودها في النَّصِّ يتحقَّق بملازمتها لمعنى الله، ومن هنا جعل النَّصُّ مُرْكَبَ المعنى هذا يُشرف (يُهيمن) على كلِّ المُرْكَبَاتِ والمفردات بعده؛ لِيُوجِّهَ دلالاتها، ويحافظ على تماسك سياقاتها التَّرْكيبِيَّةِ مثلما يشرف (يُهيمن) الله عليها في واقع الكون والحياة. ولتحقيق هذه الدلالة العميقة حَذَفَ النَّصُّ كُلَّ مبتدأ قبل هذا المُرْكَبِ؛ لتبقى معية الله رأساً لكل المُرْكَبَاتِ من أول القصيدة إلى آخرها. ويكون الحذف "لتصفيّة العبارة، وتزويق الأسلوب من ألفاظ يُفَادُ معناها بدونها لدلالة القرائن عليها" (61) وهكذا صار الموقع المُفَرَّغُ يَتَسَّعُ لِكُلِّ ضمير ينسجُم مع مفردات الكون فيكون في مَعِيَّةِ الله: (أنا: مع الله، أنت: مع الله، هو: مع الله، نحن: مع الله، أنتم: مع الله..).

2- قراءة في قصيدة: وسادة من صخر (62)

يُطالِعنا النَّصُّ هنا بموجٍ (يسعى - يركض - يلهث)

مَوْجٌ كَأَنَّ البَوْنَ مِنْ رَجْعِهِ أَسَدٌ أَثِيرَتْ فَلَهَا كَرُ
تُطَارِدُ الرِّيحُ خُطَا سَعِيهِ فَلَيْلُهُ لَيْسَ لَهُ فَجْرُ

يقف بنا النَّصُّ على شاطئ البحر، ويستحضِرُ في أذهاننا صورة قطعان من الأسود تخرُج مذعورةً من غابتها تكرر لتقاوم، لكننا نراها تفرُّ مذعورةً من جديد. ويكشف النَّصُّ الغطاء عن أبصارنا فتتحول الغابة إلى بحرٍ وتتقلب الأسد أمواجاً تعصف بها ريحٌ صرصرٌ عاتية، وتتقلب الصورة مرةً أخرى عندما نجد النَّصِّ يُسندُ إلى الموج أفعالاً لا تُسندُ إلا إلى الإنسان:

يُرْكُضُ مِنْ أَقْصَى المَدَى لَاهِثاً يَكَادُ يَرْتَجُّ بِهِ البَحْرُ

وسرعان ما نجد أنفسنا أمام تحوّلٍ فنّيٍّ جماليٍّ يتجسّد فيه الموج ويتحوّل إلى شخصٍ يسمع، ويرى، ويظن، ويتفهّم الإجابة:

وقد يرانني ناجماً باسماً في غزيتي الحري فيغتُر

يكاد المَشْهُدُ يَلْتَبِسُ على وَعِينَا؛ مَوْجٌ يَتَأَمَّلُ إنساناً يقف على شاطئ البحر، وهذا الإنسان يُجَرِّدُ من نفسه إنساناً آخر يُعَسِّرُ له ما التبس على المَوْجِ من سلوك البَشَرِ! يهتدي الإنسان بضوء النّجْمِ في ظلمة الليل فيرتاح ويبسّم، فيرتاح له المَوْجُ ويظنُّ أنه يعيش في طمأنينةٍ وسرور:

يَظُنُّ أَنِّي فِي طَمَأْنِينَةٍ أَلَا لَقَدْ يَبْتَسِمُ الحُرُّ

والهَمُّ فِي أَعْمَاقِهِ لِأَعْجَج وَصَبْرُهُ مَهْمَا حَلا مُرُّ

(60) شكّل هذا النمط سنة وسبعين بيتاً من القصيدة.

(61) أبو موسى، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص 117).

(62) الأميري، ديوان قلب ورب، المصدر السابق، ينظر القصيدة كاملة (ص 79-81).

تتداخل مفاهيم الكلمات في هذا المُعْجَم: (عُرْبَةٌ حَرَى - حُرٌّ يَبْتَسِم - هَمٌّ لَاعِج - صَبْرٌ (حُلُوٌّ، مُرٌّ!)، تَهْمَسُ إِلَيْنَا زَقْرَاثُ الْأَيْنِينِ من حروف الكلمات: هكذا أنا الإنسان، أزرع الجنة على الأرض في أثناء غرْبتي عن جنة السماء، وأستنمِرُ حُرْبِيَّيَ لِأَزِيلَ الهَمَّ من نفوس كلِّ الذين يَغْرِسونَ أشجاراً طَيِّبَةً ينعَمُ بِثمارها الصغار والكبار من بني البشر. هذا أنا الإنسان: أصبِرُ على حُلُو الحياة ومُرِّها لِيَسْعَدَ الإنسان.

ويستغلُّ النَّصُّ هذا الحوارَ الدَّاخلِيَّ فيجلبِي في سَعِيهِ الخوافِرَ النفسيَّةَ والفِكريَّةَ العميقة التي تحرك سلوك الإنسان في أثناء رحلته، وهو يصنَعُ الحياة، ويتحوَّلُ الحوار إلى مُكاشفَةٍ صريحة، ويصوِّرُ النَّصُّ ظاهرَ السلوك في البحر ليُفَسِّرَ به ما خفي من حوافر السلوك عند البشر:

يا مَوْجُ سَلِّ بِحَرْكِ عَنِّ بِسَمْتِي وَسِرِّهَا فَيَنْجَلِي السِّبْرُ
هُوَ الرِّضَا فَاللهُ قَدْ حَفَّنِي بِأَنْعَمٍ لَيْسَ لَهَا حَصْرُ

أَنَّ للبحر أن يقرأ لِمَوْجِهِ آيَةَ السماء: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْماً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁶³⁾، تبتسم المَوْجَةُ للإنسان ليرفعا رأسيهما يستلهمان الخُبَّ من أنشودة الرضا تغزفها السماء: ﴿وَأَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾⁽⁶⁴⁾.

يَنهَضُ النَّصُّ أستاذاً يُعَلِّمُ البيان، يقرأ من أعماقه رسالة السماء: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾⁽⁶⁵⁾ فتتجلي رسالة الإنسان في الحياة، وتتجلي معالم الطريق ومسالك الجبال والوديان في حرِّها وقرِّها قَدْ يَضْعُفُ الفُرسَانُ من بني البشر، لا ينفَعُ السَّارِي في ليْلِها إِلَّا يَدُ السَّمَاءِ تَبَعْتُ نَورَ اللَّهِ في مُهْجَةِ الإنسان:

لَكِنَّ هَمَّ الكَوْنِ فِي مُهْجَتِي يَلِوْكَ سَرَائِي وَيَجْتَرُّ
وَقَدْرِي السَّالِوَاءُ لَا تَنْتَهِي وَقَدْ أَهْيَ وَيَنْتَهِي الصَّبْرُ

وَيُعَلِّمُنَا النَّصُّ أَنَّ اللهَ جَعَلَ الحُرِّيَّةَ قَدْرًا للإنسان؛ لِتَكُونَ يَدٌ مُرَوِّةٌ يَمُدُّهَا الإنسانُ لِيُنْقِذَ الإنسانَ من مَخَالِبِ الوحوشِ والطُّغَاةِ.

وَقَدْرُ الحُرِّ مُرَوِّأَتُهُ يُعْضِي عَنِ السَّالِي وَيَقْتَرُّ
فَرَاخَهُ الحُرِّ مُعَانَأَتُهُ يَدَأُبُ مَهْمَا مَسَّهُ الصَّرُّ
فَمَا الَّذِي تَزْجُوهُ يَا مَوْجُ مِنْ مُكَابِدِ أَنْفَاسِهِ جَمْرُ

تتصهَرُ المَوْجَةُ في روح الإنسان ويرتدآن معاً إلى الأعماق، فيرتجُّ بهما البحر، ويعودان معاً إلى الشاطئ، فلا يجدان أيَّ رَمَلٍ ناعِمٍ على أيِّ شاطئ، فيضعان رأسيهما معاً على وِسَادَةٍ من صَخْرٍ:

يا مَوْجُ لَا رَمَلٍ عَلَيَّ شَاطِيءِ فَأَنَا وَأَنْتَ وَسَادُنَا الصَّخْرُ

⁽⁶³⁾ سورة الأنبياء: (الآية 30).

⁽⁶⁴⁾ سورة إبراهيم: (الآية 34).

⁽⁶⁵⁾ سورة البلد: (الآية 4).

جاء التشكيل الفني والجمالي في لغة هذا النصّ مُسجماً مع البنية الثقافية التي ينتمي إليها الشاعر؛ وهذا ما يعبر عنه الأميري في أسلوبه اللغوي الذي يقوم "بدراسة الخصائص اللغوية التي بها يتحوّل الخطاب من سياق الإخباري إلى وظيفته التأثيرية والجمالية" (66). فالإنسان الإنسان يسعى في المكان والزمان وهمه قدره الذي يُحقق به سعادته على الأرض. وهنا تتجلى طاقة النصّ العربيّ على توسيع التركيب وتكثيف الدلالة، كما تمثّلت في النسيج الدلالي لهذه القصيدة، وكأننا بالشاعر هنا يُجري مقابلة أسلوبية مع مقدمة قصيدة (نعمى) حيث وسّع الدلالة هناك وكثّف التراكم؛ ففي قصيدة (نعمى) صبّ جُملاً دلالية كانت واسعة متشعبة في نفسه كَثَّفها في بنية جملة واحدة، بينما نجدّه في (قصيدة وسادة من صخر) يَبني جملة دلالية واحدة في نفسه ليصّبها في تراكم قصيدة كاملة. فهذه "الجذوة الشعرية حين تهبّ في مفاصل النصّ، فإنها لا تسعى في عزله عن مجرى المحكي وتناميه، بل تهدف إلى شدّ نسيج النصّ، وتأجيج توتره" (67).

2- النسق الصوتي في شعر الأميري (مقطوعة العيد أنموذجاً): (68)

ابتدأ النصّ هنا بعرض المأساة التي تعيشها أمة الشاعر في أيام عيدها:

يمرّ علينا العيدُ مرّاً مضرّاً بأكبادنا والقدسُ في الأسرِ تصرُّخُ

جَعَلَ الأميري مقطوعته على إيقاع تفعيلات البحر الطويل، وأدمج مقاطع كلماته في تلك التفعيلات على النحو الآتي:

يَمُرُّ رُوعاً لِيَدُنْ عَيْدٍ / دُمُرُ رَأٍ / مُضَرُّ رَ جَاءٍ / بِ أَكْبَا / دِ نَا وَدُ قُدُّ / سُ فِلْ / أَسْرُ / رِ / تَصْرُ / رُ خُ /
فَعُولُ / مَفَاعِلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِلُنْ / فَعُولُنْ / مَفَاعِلُنْ.

تشكّل بناء النصّ الشعريّ في هذه المقطوعة على إدماج مُحكم أنجز الانسجام والتماشك بين النسقين الصوتي والدلالي. فالتماشك هو الذي يشكّل الانسجام اللغوي بين مكونات التركيب اللغوي؛ لأنه "خاصية دلالية تعتمد على كل جملة مكونة للنصّ في علاقتها بما يُفهم من الجُمْل الأخرى" (69). أنظر إلى المكوّن التركيبيّ وهو يوظف الرّاء التكرارية في الكلمات التي تدلّ على مرارة أعياد الأمة، ثم يوظف الأصوات الصغرى للدلالة على أنّ عاصمة الديانات المقدّسة مُعْتَقَلَةٌ في أسرِ أعداء هذه الديانات: (العيد: يَمُرُّ مُرّاً)، و(القدس: في الأسرِ تصرُّخُ) وتأمّل حال هذا العيد (مضرّاً) وقد أضاف إليه صوت الرّاء المضاعف الذي يكرّر دلالة المُبالغة المستمرة الممزوجة بالدماء النازفة من الجراح المسكوبة في أكباد الناس في كلِّ عيد.

تتناصّر هذه الأنساق الكارثية الدامية في السياقات الأفقية مع أبنية كلمات القافية المختومة بصوت الخاء الطّبقية التي يوحي ضيق ممرّ الهواء فيها بضيق عيش الناس، كما يشي صوتها بأنين الأخ المظلوم الذي يعاني من ظلم أخيه وقسوته. بنية النصّ تكوين علائقيّ عام وعميق (70) يُجري النصّ موازنة بين الأحداث التي تعصف بالأمة وبين موقف أبناء الأمة من تلك الأحداث، وتتخذ هذه الموازنة شكل مقابلة مأساوية يتعهد النسق الصوتي بتمثيلها دلاليّاً على النحو الآتي:

* القدسُ في الأسرِ تصرُّخُ

* ونحنُ نضجُ وقد نحتج!

* ولبنانُ تُذِرُّ وأشداقُ الموتِ في الصورِ تنفخُ.

(66) المسدي، الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل السنّي في نقد الأدب (ص32).

(67) العلاق، الشعر والتلقي، (ص183).

(68) الأميري، ديوان رباحين الجنة، المصدر السابق (37-41).

(69) الفقي، علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية (ص73).

(70) سويدان، في النصّ الشعري العربي، مقارنات منهجية (ص77).

* ولكُنَّا في العَيِّ نمضي ونُشْمَخ!

وأمتنا قلبٌ يَدْمَى

* وساعدُ يُشَلُّ ورأسٌ في المذَلَّاتِ يُرْصَخُ

* ويوقِعُ باسمِ الشَّعْبِ بالشَّعْبِ بَعْضُنَا

* ويقتلنا عَمَّ وَيُعْرِي بنا أخ!

* والبَغْيُ والعِدَا تُعْشَعِشُ في أوطاننا وتُقْرَخ!

يكشف النص عن ترفٍ فكريٍّ نفسيٍّ عميق جعل أبناء الأمة ينشغلون بصغائر الأمور عن الأهداف العظمى التي خلِقوا من أجلها؛ فنحن (نُضِجُ) وقد (نُحْتَجُّ). استجابةً لاستغاثة أهلنا في القدس التي (تُصْرُخُ) تحت وطأة الاحتلال! أدت الصاد الأسنانِيَّةُ الصَّفِيرِيَّةُ مع الخاء الطَّبَقِيَّةُ الصَّيْقَةُ دلالة الرِّفَاتِ التي توحى بالاختناق في الفعل (المُثِيرُ: تُصْرُخُ) في حين أدى تضعيفُ الجيم الغاريَّةُ دلالة تكثيف شكل الضَّجَّةِ في الفعل (نُضِجُ)، وأضاف وزنُ الفعل دلالة افتعال الاحتجاج الذي قلَّ احتمالُه معنى الحرف (قد) في الفعل (نُحْتَجُّ)! إنَّها الاستجابةُ المَهْزَلَةُ للمُثِيرِ المأساة. وهكذا دأب الفنُّ الشَّعْرِيُّ الذي "يقوم على مجموعة من الصَّوَرِ، والأصوات، والإيقاعات، بشرط أن يتكوَّن من هذه العناصر جميعاً كلُّ مُوحَّد لا يقبل التجرئة"⁽⁷¹⁾.

استثمر السِّياقُ فنَّ التَّشْبِيهِ في العريَّةِ فأنتَّ الفعلين المُسْتَدَيْنِ إلى القدس ولبنان: فالقُدْسُ (تُصْرُخُ)، و لبنانُ (تُنْذِرُ)؛ لِيذْكَرْنَا بِصَرْخَةِ المَرْأَةِ العَرَبِيَّةِ التي استصرختِ المُعْتَصِمِ، وهُنَا تُصَدِّرُ عَنِ السِّياقِ حَشْرَجَهُ أُنين: لَقَدْ لَامَسَتْ الصَّرْحَةَ أَسْمَاعَنَا) لِكِنِّهَا لَمْ تَلَامِسْ نُحُورَةَ المُعْتَصِمِ).

ويقفُ بنا النصُّ على صورة (الموت) الذي يهدد الأمة في حاضرها ومستقبلها، فيجسده عملاقاً يُمَسِّكُ بيديه (الصَّوَرِ) ويضعه بين أشدائه، فينفخ فيه صُراخاً يُصِمُّ الأذانَ ويُفْرَعُ القلوبَ. يذْكَرُ النصُّ أبناءَ الأمة، هنا، بقول الله تعالى: ﴿وَيُنْفِخُ فِي الصُّوَرِ فَصَجُّوا مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾⁽⁷²⁾. لَعَلَّهُمْ يَفِيقُونَ من غفلتهم ليعرفوا حجمَ الخطرِ الذي يتهدد الأمة التي عهدَ إليها حملُ رسالةِ السَّماءِ.

استخدم السِّياقُ أصواتَ التَّخْمِيمِ (ق - ص - خ) لِيُضَحِّمَ لنا جَسَدَ صورةِ الموتِ فاعِراً أشدائه الضَّخْمَةَ يَنْشُرُ صَفِيرَهُ المُرْعِبِ في كلِّ قطرٍ يعيشُ فيه مجتمعٌ يُعنى بقداسة المكان وإنسانيَّةِ الإنسان. فعلمُ الأصواتِ الوظيفيَّةِ يدرُسُ الجانبَ الفيزيائيَّ، والجانبَ الفيزيولوجيَّ للكلام: السَّمْعُ، التَّصْوِيتُ، النُّطْقُ"⁽⁷³⁾.

جاءت كلمة أمة مُضافةً إلى ضميرِ المُتَكَلِّمِينَ (أمتٌ - نا) وجُعِلَتْ موضوعاً للكلامِ ابتدأت به الجملة، أما الكلمات (قلبٌ - ساعدٌ - رأسٌ) فقد تُونَّتْ تنوينٌ تذكير، ودلَّتْ بتكثيرها على العموم، ثُمَّ جُعِلَتْ أخباراً أُسْنِدَتْ (نُسِبَتْ) إلى الأمة، فأصبحت الدلالة السِّياقِيَّةُ لهذه الجُمْلَةِ البسيطة:

- قلبٌ كلُّ فردٍ من أفرادِ الأمة - يَدْمَى.

- ساعدٌ كلُّ فردٍ من أفرادِ الأمة - يُشَلُّ.

⁽⁷¹⁾ إبراهيم، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، المرجع السابق (ص282).

⁽⁷²⁾ سورة الزمر: (الآية 68).

⁽⁷³⁾ بالميون مدخل إلى الألسنية (ص121).

- رأس كل فرد من أفراد الأمة - يُرَضِّخُ في المَدَالَات.

ويشير التضعيف في الأفعال (يُدْمَى - يُشَلِّ - تُرَضِّخُ) إلى المبالغة في (القتل، والشَّلل، والذل) التي تُهَدِّدُ أفرادَ الأُمَّةِ جَمِيعَهُمْ. تتحوَّل هذه الصورة إلى إشكاليَّةٍ عَبَثٍ مأساويٍّ حينما تُبنى جُمْلٌ جديدةٌ تكون الإضافة فيها والإسناد إلى ضمير المتكلمين أنفسهم: يوقِعُ (بِعُضد - نا) الأذى ببعض- نا). (يقتلُ - نا) عمُّ - نا). يُغري بنا (أخو - نا) أعداءنا.

ويحوَّل تنوين التَّكْرِيرِ الدلالة في جُمْلٍ أوضح:

- كُلُّ عَمٍّ يَقْتُلُ كُلَّ ابْنِ لِأَخِيهِ. - وَكُلُّ أَخٍ يُغْرِي الأعداء بكلِّ أخٍ من إخوانه.

وهكذا، فقد كَشَفَ النَّصُّ عَن مَضَاعِفَاتٍ خَطِيرةٍ على أوطان الأُمَّةِ كُلِّهَا؛ فأوْحَى بموسيقى الوِزْنِ والتَّضْعِيفِ والتَّكْرارِ إلى أَنَّ العَرَبَ والمُسلِمِينَ، بِسُلُوكِهِم العَبَثِيَّ هَذَا، قَدْ أَتَاحُوا الفُرْصَةَ لأعداء الأُمَّةِ الذين استوطنوا أَرْضَ الأُمَّةِ وأخذوا يَنْشُرُونَ مُستوطناتهم في كُلِّ أوطانها بِكُلِّ هُدوءٍ وراحَةٍ بال، فهم (يُعشعشون، وَيَبْيِضُونَ، وَيُقَسِّسُونَ، وَيَفْرَحُونَ) بِخُرْبَةِ مُطْلَقَةٍ، وَيَرَوْنَ أَنَّ سُلُوكَ أَصْحَابِ الأَرْضِ يُبَرِّرُ سُلُوكَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أُولَى بِأَعْمَارِ هذه الأَرْضِ المُقدَّسةِ مِنْ أَصْحَابِهَا الكَسَالِيِّ المُعْغَلِينَ.

هذه المرارةُ الدمويَّةُ تُسَكِّبُ باستمرارٍ في أكبادِ أبناءِ (أُمَّتِنَا)، إِنها الأُمَّةُ التي لا تَلْتَمِثُ مُكوِّناتِ البنية الثقافيَّةِ الإنسانيَّةِ إلاَّ بها، فَمَنْ ذا الذي يقبلُ أَنْ تبقى مسحوقةٌ تُعصُّ بدمائها إلى الأبد؟

الخاتمة

1- تأسست البنية الثقافيَّة في شعر الأميري على مفهوم (الكُتُبِ المُقدَّسة). وقد تَبَيَّنَ لنا من قراءة شعره أَنَّهُ على وَعْيٍ عميقٍ بأنَّ الرِّسَالَاتِ السَّمَاوِيَّةَ إِنَّمَا هي رسالةٌ واحدة، وأنَّ الكُتُبَ التي أنزلت على الرُّسُلِ إِنَّمَا هي كتاب واحد، وقد صَدَرَ في فهمه هذا عن قناعته اليقينيَّة بما أنزل على الرُّسُلِ (محمد، وعيسى، وموسى) عليهم السَّلام في الآيات القرآنيَّة الكريمة: ﴿الرِّكَابُ أُزْلِفْنَا إِلَيْكَ تَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (74)؛ " ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِقْنَا كَذِبْتُمْ وَفَرِقًا تَقْتُلُونَ﴾ (75)؛ ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (76). إذن فهي رسالةٌ سماويَّةٌ واحدة أنزلت على الرُّسُلِ من كتابٍ واحد.

2- يتبنَّى النَّصُّ الشِّعْرِيُّ الأميري قَضِيَّةَ (الإنسان) انطلاقاً من بنيته الثقافيَّة؛ فالإنسان خليفة الله على الأرض " ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (77). ويشي شعرُ الأميري بأنَّه على وعي تامٍّ بقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (78). فمن رحمة الله أَنَّهُ خَلَقَ الإنسان بين علمين: علم القرآن وعلم البيان؛ فعلم القرآن هو خلاصة المعرفة التي حملها الرُّسُلُ في كُتُبِ السَّماءِ، وعلم البيان هو الذي يُمكن الإنسان من تجديد الوَعْيِ بعلم القرآن فيدمجُه بمعرفته المُستجِدَّةِ ووجدانه المُستتير؛ ليكون سُلُوكُهُ الذي يُعَمِّرُ الحياة حروف نورٍ تتيِّرُ تاريخَ حياةِ الإنسان في كلِّ زمانٍ ومكان.

(74) سورة إبراهيم: (الآية 1).

(75) سورة البقرة: (الآية 87).

(76) سورة البقرة: (الآية 285).

(77) سورة البقرة: (الآية 30).

(78) سورة الرحمن: (الآيات 1-4).

ومن أجل أن يتمكن الإنسان من إعمار الأرض على أكمل وجه كَرَّمَهُ اللهُ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (79). وأعدَّ جسمه ونفسه وعقله إعداداً مُتميّزاً ليتمكن من تحقيق هذا الهدف المُقدَّس: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (80)، ومن أجل أن يستقيم سلوك الإنسان على بصيرةٍ مستنيرة، رَوَّدَهُ اللهُ بِقَبَسٍ مِنْ نُورِ رُوحِهِ الْعُلُويَّةِ ﴿فَإِذَا سُوِّتَهُ وَفُتِحَتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَتَعَاوَاهُ سَاجِدِينَ﴾ (81). لقد تَكَرَّرَتْ هذه المعاني السامية في النَّصِّ الأُميريِّ: (أنا كُنْتُ مُمَيَّرًا)، (أنا نُورٌ)، (أنا فَدٌّ)، (أنا مِنْ رُوحِ خَالِقِي). وَتِيَّخُذُ النَّصُّ الأُميريِّ مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي السَّامِيَّةِ مُرْتَكِزًا لِیَبِّتَ رُوحَ الْيَقِينِ وَالثِّقَّةِ فِي نَفْسِ كُلِّ إِنْسَانٍ؛ لِيُقْنِعَهُ بِأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى حَمْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْمُقَدَّسَةِ.

3 - يقدِّم النَّصُّ الشَّعريُّ، هنا؛ انطلاقةً مِنْ شِعْرِ الأُميريِّ، قِراءةً معرفيَّةً فنيَّةً لِلآيَاتِ الْقُرْآنيَّةِ الَّتِي أُسِّسَتْ مِعْمارَ الثَّقَافَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ تَحْتَ رِعَايَةِ السَّمَاءِ.

4- الأَرْضُ، وَفَقَّ هَذِهِ الْمَنْظُومَةُ الثَّقَافِيَّةُ، بِنَيْتِ اللهِ، وَمَهَابِطُ الْوَحْيِ مُنْطَلَقَاتٌ يَعْجِي الْإِنْسَانُ رِسَالَتَهَا وَيُحَوِّلُهَا سُلُوكًا يُعَمِّرُ بِهِ أَرْجَاءَ الْأَرْضِ:

- فَكَعْبَةُ الْمُؤْمِنِ فِي قَلْبِهِ يَدُورُ أُنَى دَارٍ فِي دَارِهَا.

5- تَنَجَّدُ مفاهيمُ الْعِبَادَاتِ فِي هَذِهِ الثَّقَافَةِ؛ فِي الْحَجِّ مَثَلًا، يَلْتَقِي الْعُلَمَاءُ، وَالْأَدْبَاءُ، وَأَصْحَابُ الْفُنُونِ كُلِّهَا مِنْ كُلِّ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ، وَهَذِهِ فُرْصَةٌ تَتَلَقَّحُ فِيهَا الْعُقُولُ، وَتَتَطَوَّرُ مِنْهَا الْمَعْرِفَةُ الَّتِي تَنَفُّعُ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ فِي كُلِّ تَخْصُصٍ يَهْتَدِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي جَمِيعِ أَرْجَاءِ الْأَرْضِ.

6- يعزو النَّصُّ الأُميريِّ مَا يَحِلُّ مِنْ فِسَادٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ إِلَى مَا يُمارِسُهُ الطَّغَاةُ مِنْ ظُلْمٍ عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ: (الطَّوَاغِيْتُ: أَفْسَدُوا... أَهْلَكُوا... دَمَرُوا...) وَهُوَ يَصْدُرُ فِي هَذَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَقْوَامٍ (عَادٍ) وَ(ثَمُودَ) وَ(آلِ فِرْعَوْنَ) ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ ﴿فَاكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلِرْصَادٍ﴾ (82).

7- يُوحي مفهوم (الأمَّة) فِي شِعْرِ الأُميريِّ بِأَنَّهَا الْأُمَّةُ الْمُؤْمِنَةُ الْوَسْطُ الَّتِي تُؤْمِنُ بِأَنَّ تَعْلِيمَاتِ السَّمَاءِ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ إِنَّمَا هِيَ لِمَصْلَحَةِ أَهْلِ الْأَرْضِ جَمِيعِهِمْ؛ فَخَالِقُ أَهْلِ الْأَرْضِ يَعْرِفُ مَكُونَاتِ (أَجْسَامِهِمْ، وَأَرْوَاحِهِمْ، وَنَفْسِهِمْ، وَعُقُولِهِمْ)، وَيَعْرِفُ كَيْفَايَاتِ هَذِهِ الْمَكُونَاتِ وَحَاجَاتِهَا، وَقَدْ سَخَّرَ اللهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِصَاحِبِ هَذِهِ الْقُدْرَاتِ (الْإِنْسَانِ)؛ لِيَتِمَّكَنَ مِنْ إِعْمَارِ الْأَرْضِ عَلَى عَيْنِ اللهِ، وَالْأُميريُّ يَرَى أَنَّهُ مُخَاطَبٌ مَعَ جَمِيعِ أَفْرَادِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (83).

8- اسْتَدَّ الأُميريُّ إِلَى هَذَا الثَّرَاثِ الثَّقَافِيِّ الْمُقَدَّسِ، وَجَعَلَهُ مُسْتَدًّا وَثَائِقِيًّا لِكُلِّ أُمَّةٍ تَرِيدُ أَنْ تَبْنِي حَضَارَةً إِنْسَانِيَّةً مُتَّجِدَّةً. وَجَعَلَ بَيْنَ أَيْدِينَا نِصُوصَهُ الشَّعْرِيَّةَ لِتَكُونَ شَاهِدًا مَعْرِفِيًّا فَنِيًّا جَمَالِيًّا بِأَنَّهُ أَدَّى رِسَالَتَهُ بِصِدْقٍ وَأَمَانَةٍ.

(79) سورة الإسراء: (الآية 8).

(80) سورة التين: (الآية 4).

(81) سورة الحجر: (الآية 29).

(82) سورة الفجر: (الآيات 11، 14).

(83) سورة البقرة: (الآية 143).

- 9- يغرُسُ شعرُ الأميريِّ في نفوسِ أبناءِ مُجتمعهِ فلسفةً تربويّةً تنبثقُ من ثقافتهِ الإنسانيّةِ، وتتسجُمُ معَ مراحلِ النُمُوِّ وطاقتِ المُتعلِّمِ، ونجدُ أنَ النَّصَّ الشّعريِّ في هذا المقامِ يتحوَّلُ إلى أُغنيّةٍ أو أنشودةٍ تعزفُ للمُتعلِّمِ أنعاماً تُعزِّزُ سلوكه المُستقيم.
- 10- يُرسيخُ النَّصَّ الشّعريِّ الأميريِّ مفهومَ (الوطن)، ويبينُ قيمةَ المُواطنِ الصّالحِ وحَقِّه في أن يعيشَ بعزّةٍ وكرامةٍ على أرضِ وطنه، وهو يرى أن الطّغاةَ أعداءَ الإنسانيّةِ هم الذين يعتدون على أوطانِ غيرهم ويستضعفون أهلها ويظلمونهم.
- 11- يَسْتَنْبِطُ النَّصَّ الأميريِّ حُبَّ الحياةِ في نفوسِ شبابِ الأُمّةِ، ولا تأخذُ الحياةُ معناها الحقيقيَّ إلا إذا أضأنا نورَ اللهِ المكنوزِ في عُقولنا ونُفوسنا:
- وَحَيَا بِهِ ثُمَّ نَحْيَا بِهِ وَحَيَا، وَحَيَا، وَحَيَا الدَّهْرُ.
- 12- ينتمي النَّصُّ الشّعريُّ الأميريُّ إلى مدرسةٍ معرفيّةٍ فنيّةٍ جماليّةٍ، تَسْتَحِقُّ أن تَتَجَدَّدَ في فضاءاتها كُلِّ المدارس التي تَنشُدُ المَعْرِفَةَ والفنَّ والجَمال.

مصادر البحث ومراجعته:

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

- الأميري، عمر بهاء الدين. (1404هـ ، 1984 م)، ديوان صفحات ونفحات، ط1. الدوحة: مؤسسة الشرق للعلاقات العامة للنشر والترجمة.
- الأميري، عمر بهاء الدين. (1409 هـ ، 1989 م)، ديوان الرَّحْف المقدس، ط1. عمان: دار الصياد للنشر والتوزيع.
- الأميري، عمر بهاء الدين. (1410هـ ، 1990 م)، ديوان قلب ورب، ط1. دمشق: دار القلم للطباعة والنشر؛ بيروت: الدار الشاميّة للطباعة والنشر.
- الأميري، عمر بهاء الدين. (1412 هـ ، 1992م)، ديوان رياحين الجنة، ط1. دمشق: دار القلم للطباعة والنشر. بيروت: الدار الشاميّة للطباعة والنشر.

ثانياً: المراجع

- إبراهيم، زكريا. (1966)، فلسفة الفن في الفكر المعاصر، (د.ط)، دار مصر للطباعة.
- بشر، كمال محمد. (1973)، دراسات في علم اللغة، ط1، دار المعارف بمصر.
- بنيّني، زهيرة. (د.ت)، التصوّف في ديوان مع الله للشاعر الإسلامي عمر بهاء الدين الأميري جامعة باتنة: الجزائر.
- بويفا، لودميلا. (1983م)، الإنسان نشاط وتواصل. ترجمة: زياد الملا، ط1، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر.
- ثامر، فاضل. (1994)، اللغة الثانية، في إشكاليّة المنهج والنظريّة والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الحليبي، خالد بن سعود. (2004م)، عُمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانيّة المؤمنة، ط1، (د.م).
- الحليبي، خالد بن سعود. (2006)، البناء الفنّي في شعر عُمر بهاء الدين الأميري، ط1، جيزان، منشورات نادي جازان الأدبي.
- خطابي، محمد. (1999)، لسانيات النص، مدخل في انسجام النص، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- دي بوجراند، روبرت. (2007)، النَّصُّ والخطاب والإجراء، ترجمة تَمَام حسان، ط2، القاهرة: عالم الكتب.
- دي سوسور، فردينان. (1985م)، دروس في الألسنية العامة، (د.ط)، تعريب صالح القرماضي، ورفيقه، بيروت: الدار العربية للكتاب.

- ديوان أبي تمام. (1964)، بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر.
- الخبّاص، عبد الله. (1995م) القدس في الأدب العربي الحديث في فلسطين والأردن، ط1.
- الريّاعي، عبد القادر. (1999)، جماليّات المعنى الشعريّ، التّشكيل والتّأويل، ط1، بيروت: المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر.
- سويدان، سامي. (1989)، في النّصّ الشعري العربي، مقارنات منهجيّة، ط1، بيروت: دار الآداب.
- عبد المطّلب، محمد. (1984م)، البلاغة والأسلوبية، (د. ط)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
- العريني، وائل مصباح. (2007م)، القيم الروحيّة في شعر عُمر بهاء الدين الأميري، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلاميّة بغزّة.
- العلاق، علي جعفر. (2002م)، الشعر والتلقي، ط1، عمّان: دار الشروق.
- فابر، بول؛ بالميون، كريستيان. (1992)، مدخل إلى الألسنيّة، ترجمة طلال وهبة، ط1، بيروت: المركز الثقافي العربي.
- الفتحي، صبحي إبراهيم. (2000م)، علم اللغة النّصي بين النظريّة والتطبيق: دراسة تطبيقية على السّور المكّيّة، (د. ط)، دار قباء للنّشر والتوزيع.
- مارتني، أندريه. (1985م)، مبادئ اللسانيات العامّة، ترجمة: أحمد الحمو، (د. ط)، دمشق: المطبعة الجديدة.
- المسدّي، عبد السلام. (1977م)، الأسلوب والأسلوبية، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، (د. ط)، ليبيا، تونس: الدار العربية للكتاب.
- مفتاح، محمد. (1985)، تحليل الخطاب الشعري، (استراتيجيّة التّناص)، ط1، بيروت: دار التنوير للطباعة والنّشر.
- أبو موسى، محمد. (1980)، خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ط2، القاهرة: مكتبة وهبة.
- الهاشمي، محمد علي. (1986م)، عمر بهاء الدين الأميري: شاعر الأبوّة الحانية، والبُنوّة البارّة، والفنّ الأصيل، بيروت: دار البشائر الإسلاميّة.
- الهيلاي، صفية. (2004م)، الرّؤية الإسلاميّة للإنسان في شعر عُمر بهاء الدين الأميري، شاعر الإنسانيّة المؤمنة دراسة دلالية وفنيّة، المعهد المغربي للإعلام العلمي والتقني.